



القِطْعَة الْعَالَمِيَّة



قِصَّة مَدِينَتَيْنِ



Arabcomics.net





قِصَّة مَدِينَتَيْنِ



أَعَدَّ النَّصَّ الْعَرَبِيَّ: ن. أ. الزِّيَّات
عَنْ قِصَّة: تشارلز ديكنز
رُسُوم: فرانك همفريس

مكتبة لبنان

وَاحِدٌ مِنْ أَشْهُرِ الْكُتَّابِ الْإِنْكَلِيزِ. اكْتَسَبَ شُهْرَةً عَالَمِيَّةً ذَاتَةً الصَّبِيَّ لِرِوَايَاتِهِ الْعَدِيدَةِ الرَّائِعَةِ الَّتِي تَحَدَّثُ فِيهَا عَنْ الطَّبَقَاتِ الْفَقِيرَةِ النَّعِيسَةِ، وَعَنِ الظُّلْمِ الَّذِي يُصِيبُ فِئَاتٍ كَثِيرَةً مِنَ الشَّعْبِ. فِي أُسْلُوبِ دِيكَنْزِ يَمْتَزِجُ النَّقْدُ السَّاخِرُ اللَّادِعُ بِالْمَشَاهِدِ الْمُؤَلِّمَةِ الَّتِي تَكْشِفُ عَنْ عَذَابِ الْإِنْسَانِ فِي مُجْتَمَعٍ غَيْرٍ عَادِلٍ.

مِنْ أَشْهُرِ رِوَايَاتِهِ: «أُولْفَرُ نُوْست» (١٨٣٧ - ١٨٣٨)، «نِيكُولْسَ نِيكَلِي» (١٨٣٨ - ١٩٣٩)، «دِيْقِدُ كُوْبَرْفِيلْد» (١٨٤٩ - ١٨٥٠)، وَقِصَّتُنَا الَّتِي تُقَدِّمُهَا الْيَوْمَ لِلْقَارِئِ الْعَرَبِيِّ: «قِصَّةُ مَدِينَتَيْنِ» الَّتِي نُشِرَتْ فِي الْعَامِ ١٨٥٩.

تَصِفُ «قِصَّةُ مَدِينَتَيْنِ» الصَّرَاعَ الَّذِي يَنْشَبُ فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ بَيْنَ الْحُبِّ وَالْوَجِبِ، وَتُصَوِّرُ انْتِقَالَ السُّلْطَةِ مِنْ فَرِيقٍ إِلَى آخَرَ وَمَا يَسْتَتِعُ ذَلِكَ مِنْ تَحَوُّلٍ فِي الْأَفْكَارِ وَالْأُمَمِ لِلْبَشَرِ. وَتَجْرِي أَحْدَاثُ الْقِصَّةِ فِي إِطَارٍ تَارِيخِيٍّ يَتَنَاوَلُ الْفَتْرَةَ الَّتِي قَامَتْ فِيهَا الثَّوْرَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ، وَانْعِكَاسَ هَذَا الْإِطَارِ عَلَى حَيَاةِ أُسْرَةٍ وَالْأَحْدَاثِ الَّتِي تُوَاكِفُهَا فِي مَدِينَتَيْ لَنْدُنْ وَبَارِيسَ. وَتُعْطِي الرُّسُومُ الْمُلَوَّنةُ صُورَةً رَائِعَةً صَادِقَةً عَنْ تِلْكَ الْمَرَحَلَةِ التَّارِيخِيَّةِ الْمُهْمَةِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ.

سِلْسِلَةُ «الْقِصَصِ الْعَالَمِيَّةِ»

- ١ - جَزِيرَةُ الْكَتَر
- ٢ - أُسْرَةُ رُوْبِنْزِنِ السُّوِسْرِيَّةِ
- ٣ - الْحَدِيقَةُ السَّرِّيَّةُ
- ٤ - رِحْلَةُ إِلَى بَاطِنِ الْأَرْضِ
- ٥ - قِصَّةُ مَدِينَتَيْنِ
- ٦ - الْعَالَمُ الْمَقْفُودُ
- ٧ - الْفُرْسَانُ الثَّلَاثَةُ



تَقَدَّمَ أَحَدُ الْمُسَافِرِينَ وَقَالَ بِشْيءٍ مِنَ الْقَلْقِ : « مَا الْأَمْرُ يَا جَرِي ؟ » ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْحَارِسِ وَقَالَ : « لَا بَأْسَ ، أَنَا أَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ . »

أَنْزَلَ الْحَارِسُ بُنْدُوقَتَهُ ، وَأَسْرَعَ الْمُسَافِرُونَ يُخْرِجُونَ سَاعَاتِهِمْ وَتُقَوِّدُهُمْ مِنْ أَخَذَتِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا خَبَأُوهَا مَدْعُورِينَ حِينَ رَأَوْا الْفَارِسَ مُقْبِلًا عَلَيْهِمْ .

سَلَّمَ جَرِي السَّيِّدَ لُورِي وَرَقَّةً تَقُولُ : « أَنْتَظِرِ الْآسَةَ فِي دَوْقِر . » وَكَانَ جَوَابُ السَّيِّدِ لُورِي عَلَى الرِّسَالَةِ غَامِضًا ، قَالَ : « جَوَابِي هُوَ : أُعِيدَ إِلَى الْحَيَاةِ . »

أَسْرَعَ جَرِي يَقُولُ بِصَوْتٍ أَجَشٍّ : « هَذَا جَوَابُ غَرِيبٍ ! » وَقَدْ كَانَ فِعْلًا جَوَابًا غَرِيبًا ، كَمَا سَنَرَى .

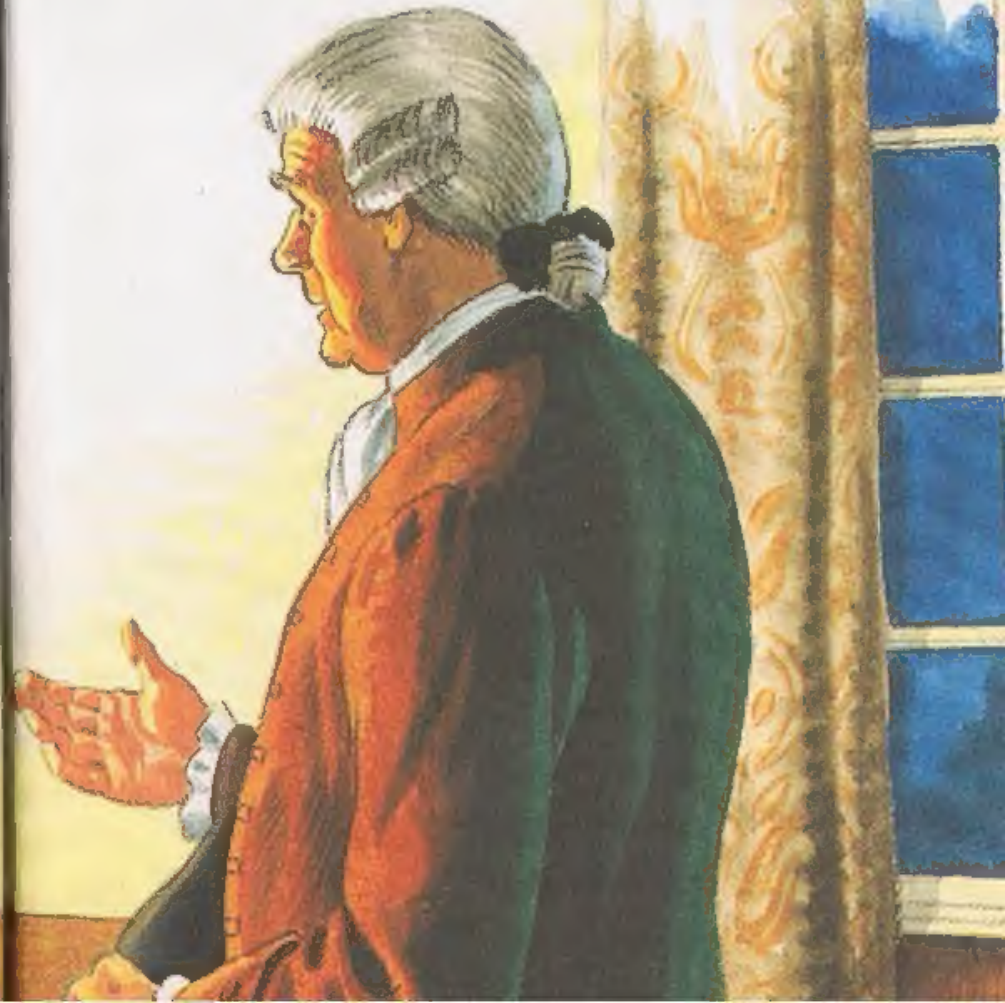


كَانَتْ لَيْلَةٌ مُكْفَهَرَةٌ مِنْ لَيْلَالِي تَشْرِينَ الثَّانِي (نُوفَمْبَر) مِنْ عَامِ ١٧٧٥ . وَكَانَتْ الْجِيَادُ الَّتِي تَجْرُ عَرَبَةَ الْبَرِيدِ تُجَاهِدُ فِي صُغُودِهَا إِحْدَى التَّلَالِ . وَفَوْقَ الْعَرَبَةِ جَلَسَ حَارِسٌ مُسَلَّحٌ بِبُنْدُوقَةٍ قَصِيرَةٍ . كَانَ الْحَارِسُ يُرَاقِبُ الطَّرِيقَ جَاهِدًا خَوْفًا مِنْ قُطَاعِ الطَّرِيقِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَرَى أَبْعَدَ مِنْ مِثْرٍ وَاحِدٍ . وَازْدَادَتْ مَشَقَّةُ الطَّرِيقِ فَتَزَلَّ الْمُسَافِرُونَ مِنَ الْعَرَبَةِ تَخْفِيفًا لِلْوِزْنِ ، وَرَاحُوا يُخَوِّضُونَ فِي الْوَحْلِ . فَجَاءَتْ ، بَرَزَ مِنَ الضَّبَابِ فَارِسٌ جَاءَ يَغْدُو بِفَرَسِهِ . فَصَاحَ الْحَارِسُ : « قِفْ ! وَالَا أَطْلَقْتُ النَّارَ ! »

أَجَابَ الْفَارِسُ : « أُرِيدُ مُسَافِرًا فِي عَرِيَّتِكُمْ . أُرِيدُ السَّيِّدَ جَارِفِسَ لُورِي . »

فِي رَذَاهَةِ الْفُنْدُقِ الْكَثِيَّةِ فِي دَوْقَرٍ ، وَعَلَى ضَوْءِ شَمْعَتَيْنِ
طَوِيلَتَيْنِ ، التَّقَى السَّيِّدُ لُورِي صَبِيَّةٌ فَاتِنَةٌ فِي السَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ
عُمْرِهَا ، ذَاتَ شَعْرٍ أَشْفَرٍ وَعَيْنَيْنِ حَاضِرَتَيْنِ . تِلْكَ هِيَ الْآنَسَةُ الَّتِي
كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَلْتَقِيَهَا .

تِلْكَ الصَّبِيَّةُ الْفَاتِنَةُ كَانَتْ لُوسِي مَانِتَ ، ابْنَةُ صَدِيقِ فَرَنْسِيٍّ
مِنْ أَصْدِقَائِهِ الْقُدَامَى . وَكَانَ قَدْ حَمَلَهَا مَعَهُ إِلَى إِنْكِلَتْرَةَ وَهِيَ بَعْدُ
طِفْلَةٌ ، وَظَلَّتْ طَوَالَ الْوَقْتِ نَحْسَبُ نَفْسَهَا يَتِيمَةً .



كَانَ عَلَى السَّيِّدِ لُورِي أَنْ يُخْبِرَهَا الْآنَ أَنَّ أَبَاهَا لَا يَزَالُ حَيًّا .
فَقَدْ زُجَّ بِهِ فِي سِجْنِ الْبَاسْتِيلِ الْمُرْبِعِ فِي بَارِيسَ مُدَّةَ ثِنَائِي عَشْرَةَ
سَنَةٍ ، دُونَ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ مَكَانَهُ . وَقَدْ اكْتُشِفَ مَكَانُهُ أَخِيرًا
فَأُطْلِقَ سَرَاحُهُ .

قَالَ : « اكْتُشِفَ مَكَانُهُ . لَكِنَّهُ تَغَيَّرَ كَثِيرًا . إِنَّهُ حُطَامُ رَجُلٍ .
سَنَذْهَبُ إِلَيْهِ فِي بَارِيسَ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تُعِيدِيهِ إِلَى الْحَيَاةِ . »
رَاحَتْ لُوسِي تَنْظُرُ بِحَيْرَةٍ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الْوَقُورِ ، فِي بَرَزَتِهِ
الْبُنْيَّةِ وَشَعْرِهِ الْمُسْتَعَارِ الْمُرْتَبِ ، وَتُفَكِّرُ فِي الْخَبَرِ الصَّاعِقِ الَّذِي
أَنَاهَا بِهِ ، وَالَّذِي جَاءَ صَدْمَةً تَرَكْتُهَا شَاحِبَةً تَرْتَعِشُ .
أَخِيرًا قَالَتْ يَبِاسُ : « لَنْ أَرَاهُ هُوَ ، بَلْ سَأَرَى شَبَحَهُ ! »



رَأَتْ لُوسِي أَنَّ اتِّخَاذَ الرَّجُلَيْنِ اسْمًا وَاحِدًا أَمْرٌ لَا فِتْ لِلنَّظَرِ .
وَبَدَا لَهَا كَأَنَّ فِي الْأَمْرِ كَلِمَةً سِرًّا . وَارْتَسَمَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِ
السَّيِّدِ دُوفَارْجَ ، وَنَطَقَتْ مَلَامِحُهُ بِالْغُفِّ وَالشَّرَاسَةِ .

كَانَ عَلَى السَّيِّدِ لُورِي أَنَّ يَذْهَبَ إِلَى بَارِيْسَ فِي أَمْرٍ يَتَعَلَّقُ
بِالْمَضْرُوفِ الَّذِي يَمْلِكُهُ . وَقَدْ تَمَكَّنَ هُوَ وَلُوسِي مِنَ الْوُصُولِ إِلَى
أَحَدِ الْأَحْيَاءِ الْبَائِسَةِ الْفَقِيرَةِ ، حَيْثُ تَنْتَشِرُ الرِّوَاثُ الْكَرِيهَةُ ،
وَيَجُولُ أَنْاسٌ ذَوُو ثِيَابٍ مُزَقَّةٍ وَيَطْوِنُ جَائِعَةٌ يَتَرَصَّدُونَ طَعَامًا
يَأْكُلُونَهُ . حَتَّى الْبَحَاوِثُ كَادَتْ أَنْ تَكُونَ خَالِيَةً مِنَ الطَّعَامِ .

وَفِيمَا كَانَا يَعْثُرَانِ شَارِعًا مَرْصُوفًا بِالْحِجَارَةِ ، وَقَعَ بِرَمِيلِ
شَرَابٍ مِنْ عَرَبَةٍ فَانْكَسَرَ . وَانْقَضَّ النَّاسُ حَالًا عَلَى الشَّرَابِ
الْمُنْسَكِبِ عَلَى الْأَرْضِ الْمُوحِلَةِ ، يَرْفَعُونَ مِنْهُ بِمَا تَسِرُّ لَهُمْ مِنْ
أَنِيَّةٍ أَوْ حَتَّى بِأَيْدِيهِمْ . وَكَانَ أَنْ لَطَخَ الشَّرَابُ أَفْوَاهَهُمْ بِاللَّوْنِ
الْأَحْمَرِ فَبَدَا مَنْظَرُهُمْ مُرْعِبًا . تَقَدَّمَ رَجُلٌ طَوِيلٌ مِنْهُمْ يَغْتَمِرُ طَاقِيَةً
نَوْمٍ ، وَكَتَبَ عَلَى جِدَارٍ بِإِصْبَعِهِ الْمُلَوَّثِ بِالشَّرَابِ كَلِمَةً : الدَّمُ !
كَانَتْ تِلْكَ مِيقَاتُ غَلِيَانٍ تَنْدُرُ بِإِنْدِلَاعِ أَحْدَاثٍ خَطِيرَةٍ .

وَصَلَ السَّيِّدُ لُورِي وَلُوسِي إِلَى حَانُوتٍ يَمْلِكُهَا رَجُلٌ مَتِينُ الْبَنِيَّةِ
قَوِيُّ الْمَلَامِحِ اسْمُهُ السَّيِّدُ دُوفَارْجَ . وَكَانَتْ السَّيِّدَةُ دُوفَارْجَ
جَالِسَةً فِي مَدْخَلِ الْحَانُوتِ تَغْزِلُ صُوفًا ، دُونَ أَنْ يَمْنَعَهَا شَيْءٌ مِنْ
مُرَاقَبَةِ كُلِّ مَا يَحْدُثُ حَوْلَهَا بِعَيْنَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ ثَاقِبَتَيْنِ .

قَالَ أَحَدُ زَبَائِنِ الْحَانُوتِ : « لَا يَذُوقُ هَؤُلَاءِ النَّاعِسُونَ ،
عَادَةً ، شَرَابًا وَلَا غَيْرَهُ يَا جَاكْ ، إِلَّا الْخُبْزَ الْأَسْوَدَ وَالْمَوْتَ . »

فَرَدَّ آخَرُ : « الْحَقُّ مَعَكَ ، يَا جَاكْ . »



«لا».

«مَنْ أَنْتِ؟»

ثُمَّ تَنَاولَ خِرْقَةً وَسِخَةً مُعْلَقَةً حَوْلَ عُنُقِهِ بِخَيْطٍ ، وَفَتَحَهَا فَإِذَا
بِهَا بِضْعُ شَعْرَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ . اِغْرُورَقَتْ عَيْنَاهُ بِالْدمُوعِ ، فَقَدْ كَانَتْ
هَذِهِ الشَّعْرَاتُ أَثَرًا مِنْ زَوْجَتِهِ . وَتَذَكَّرَ السَّيِّدُ لُورِي أَنَّ بَيْنَ الْأُمِّ
وَلُوسِي شَبَهَا قَوِيًّا .



اِقْتَرَبَتْ لُوسِي مِنَ الشَّيْخِ وَمَدَّتْ يَدَهَا إِلَيْهِ بِرَفْقٍ وَقَالَتْ :
«جِئْتُ لِأَخُذَكَ إِلَى الْبَيْتِ ، يَا أَبِي ، وَلِأَعْتِنِي بِكَ .»

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ قَامَ السَّيِّدُ دُوفَارْجُ وَرِفَاقُهُ بِتَهْرِيبِ الشَّيْخِ وَابْنَتِهِ
وَالسَّيِّدِ لُورِي إِلَى خَارِجِ بَارِيسَ مُتَجَاوِزِينَ نِقَاطَ الْحِرَاسَةِ . وَرَاحَ
السَّيِّدُ لُورِي ، أَثْنَاءَ انْطِلَاقِ الْعَرَبَةِ فِي الظَّلَامِ ، يَتَسَاءَلُ مَا إِذَا
كَانَ الدُّكْتُورُ مَاتَ سَيَسْتَعِيدُ ذَاكِرَتَهُ وَالْحَيَاةَ السَّعِيدَةَ .



حِينَ عَرَفَ السَّيِّدُ دُوفَارْجُ أَنَّ الصَّبِيَّةَ ابْنَةُ سَيِّدِهِ الْقَدِيمِ
أَخَذَهَا إِلَى مَخْبَأِ سِرِّيٍّ يَقَعُ فَوْقَ الْحَانُوتِ .

هُنَاكَ ، فِي عُلْيَا صَغِيرَةٍ خَافَتِ الضُّوءَ ، رَأَتْ لُوسِي شَيْخًا
أَبْيَضَ الشَّعْرِ بَالِي الثِّيَابِ مُنْهَمِكًا فِي تَصْلِيحِ بَعْضِ الْأَحْذِيَّةِ . لَمْ
تَكُنْ عَيْنَا الشَّيْخِ الْكَلِيلَتَانِ تَتَحَمَّلَانِ ضَوْءًا أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ الضُّوءِ .

سَأَلَهُ السَّيِّدُ دُوفَارْجُ عَنْ اسْمِهِ فَقَالَ بِصَوْتٍ وَاهِنٍ
مُضْطَرِبٍ ، وَكَأَنَّمَا لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ مُنْذُ زَمَنٍ : «مَتَّةٌ وَخَمْسَةٌ ، الْبُرْجُ
الشَّمَالِيُّ» . لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ رَقْمَ زِنَانَتِهِ .

ثُمَّ بَدَأَ الشَّيْخُ ، بَعْدَ بَعْضِ الْوَقْتِ ، يَنْظُرُ فِي وَجْهِ لُوسِي
وَشَعْرَهَا الذَّهَبِيِّ ، وَكَأَنَّمَا ذَلِكَ يُذَكِّرُهُ بِإِنْسَانٍ يَعْرِفُهُ .

«أَنْتِ ابْنَةُ السَّجَّانِ؟»

بَعْدَ خَمْسِ سَنَاتٍ

في العام ١٧٨٠ كَانَتْ قَدْ مَرَّتْ خَمْسُ سَنَاتٍ عَلَى تِلْكَ الْحَادِثَةِ. وَكَانَتْ لُوسِي وَوَالِدُهَا يَعِيشَانِ فِي أَطْرَافِ مَدِينَةِ لَنْدَنَ فِي مَكَانٍ هَادِئٍ يُشْرِفُ عَلَى الرَّيْفِ السَّاحِرِ النَّاصِرِ.

وَكَانَ وَالِدُ لُوسِي قَدْ عَادَ إِلَى مُمَارَسَةِ مِهْنَةِ الطَّبِّ ، وَحَظِيَ بِاحْتِرَامٍ عَمِيقٍ مِنَ النَّاسِ. لَكِنَّهُ كَانَ لَا يَزَالُ يَحْتَفِظُ بَعْدَهُ الْإِسْكَافِيَّ فِي غُرْفَةٍ عُلوِيَّةٍ. وَقَدْ يَحْدُثُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي أَنْ تَعُودَ إِلَيْهِ هَوَاجِسُ أَبَامِ السَّجْنِ ، فَيَنْفَرِدَ فِي عُلَّتَيْهِ ، وَيَظَلُّ طَوَالَ اللَّيْلِ مُنْهَمِكًا فِي تَصْلِيحِ الْأَحْدِيَةِ. وَكَانَ الْقَلْقُ يَسْتَبِدُّ بِلُوسِي حِينَ تَرَى أَبَاهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ.

كَانَتْ مُدَبِّرَةُ الْمَنْزِلِ ، الْآنِسَةُ بَرُّسَ ، امْرَأَةً صَارِمَةً ، ذَاتَ شَعْرٍ أَحْمَرَ وَوَجْهٍ أَحْمَرَ. وَقَدْ أَخَذَتْ عَلَى عَاتِقِهَا أَنْ تَحْرُسَ الدُّكْتُورَ مَائِتَ وَابْنَتَهُ الْفَرَّاشَةَ - كَمَا كَانَتْ تُسَمِّي لُوسِي - مِنْ سَائِرِ الْمُتَطَفِّلِينَ ، وَبِخَاصَّةٍ أُولَئِكَ الشُّبَّانَ الَّذِينَ يَحُومُونَ حَوْلَ الصَّبِيَّةِ ، مُنْجَلِبِينَ بِجَمَالِهَا وَرِقَّةِ مَعَشَرِهَا.



كَانَ جَرِي كَرَانْشَرُ ، خَادِمُ السَّيِّدِ لُورِي ، يَقُومُ بِمِهْمَةٍ جَدِيدَةٍ لِسَيِّدِهِ. كَانَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى أَوْلَدِ بِيْلِي ، حَيْثُ يَقُومُ السَّيِّدُ لُورِي بِإِدَاءِ الشَّهَادَةِ فِي إِحْدَى الْمُحَاكَمَاتِ.



أَجَابَ الرَّجُلُ: «لَمْ تَبْدَأِ الْجُلْسَةَ بَعْدُ.»

قَالَ جَرِي: «مَنْ يُحَاكِمُونَ؟»

أَجَابَ الرَّجُلُ: «يُحَاكِمُونَ جاسوسًا فرنسيًا.»

قَالَ جَرِي: «لَا بَدْ أَنَّهُمْ سَيَقْطَعُونَهُ، إِذَا.»

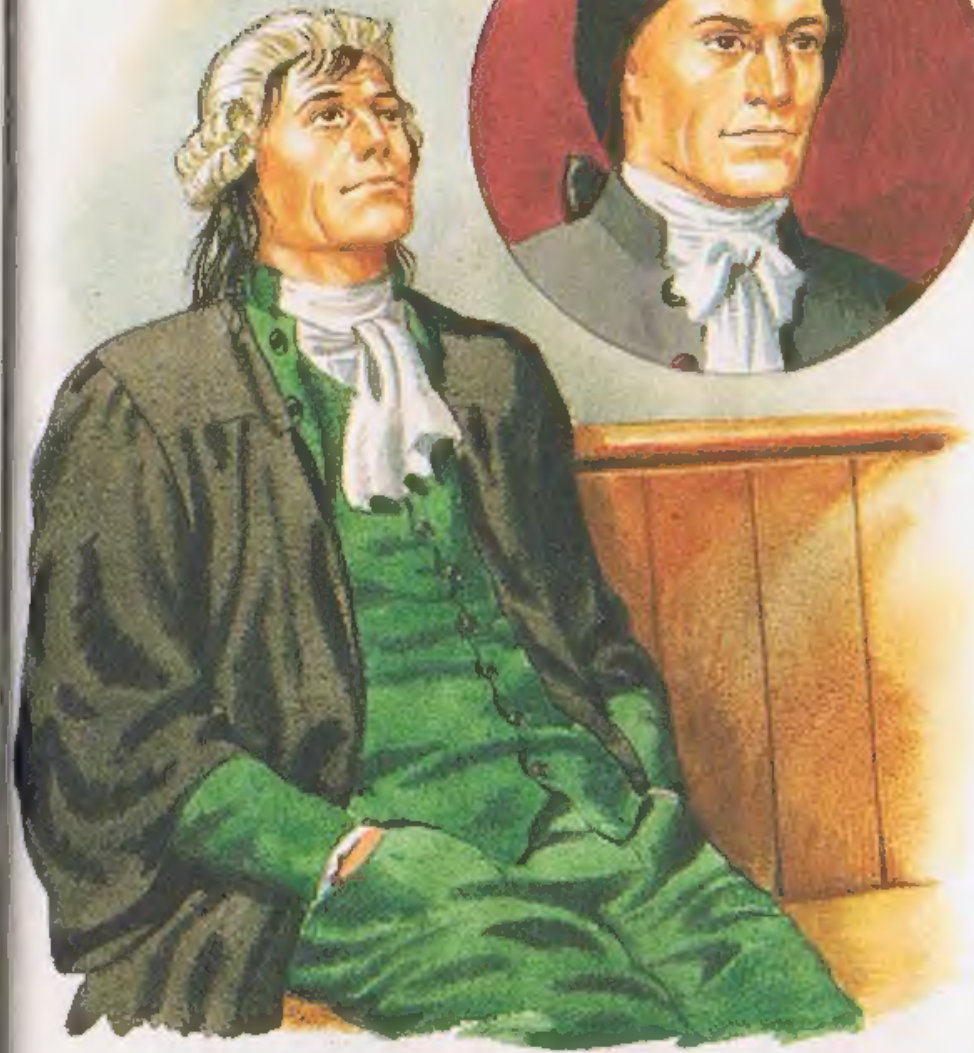
رَدَّ الرَّجُلُ بِغَيْظَةٍ: «سَوْفَ يُجَرَّ جُرُونَهُ، ثُمَّ يَقْطَعُونَ رَأْسَهُ ثُمَّ يَقْطَعُونَهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَرْبَاعٍ. هَكَذَا سَيَكُونُ الْحُكْمُ.»

قَالَ جَرِي: «هَذَا إِذَا وُجِدَ مُذْنِبًا.»

أَجَابَ الرَّجُلُ: «لَا تَقْلُقْ، سَيَجِدُونَهُ مُذْنِبًا!»

أَمَّا الْمُتَهَمُ خَلْفَ الْقُضْبَانِ، وَاسْمُهُ شَارْل دَارْتِي، فَكَانَ فرنسيًا طويلَ القامة، يَقِفُ وَقْفَةً جَلالٍ وَوَقَارٍ. كَانَ ذَا شَعْرٍ أَسْوَدَ طَوِيلٍ، مَرْبُوطٍ خَلْفَ ظَهْرِهِ بِشَرِيطٍ، وَذَا ثِيَابٍ رَمَادِيَّةٍ بَسِيطَةٍ. وَكَانَ وَسِيمًا، أَسْمَرَ، دَاكِنَ الْعَيْنَيْنِ. وَقَدْ اتَّهَمَ بِأَنَّهُ يَتَجَسَّسُ لِصَالِحِ الْمَلِكِ الْفَرَنْسِيِّ.

وَكَانَ يَجْلِسُ فِي مَقْعَدِ الْمُحَامِلِينَ رَجُلٌ ذُو شَعْرٍ مُسْتَعَارٍ مُهْمَلٍ وَرِدَاءٍ مَشْقُوقٍ، وَقَدْ اسْتَرَخَى فِي جِلْسَتِهِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ فِي جَيْبِهِ، وَرَاحَ يُحَدِّقُ فِي ذُبَابَةٍ عَالِقَةٍ فِي السَّقْفِ. كَانَ ذَا نَظْرَةٍ لَامْبَالِيَّةٍ وَكَأَنَّهُ لَا يَخْفِلُ بِأَحَدٍ حَتَّى وَلَا بِنَفْسِهِ. لَكِنَّ اللَّافِتَ لِلنَّظَرِ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ، وَاسْمُهُ سِدْنِي كَارْتْنِ، كَانَ ذَا شَبِّ غَرِيبٍ بِالْمُتَهَمِ.



كَانَتْ أُولَدُ بَيْلِي الْمَحْكَمَةِ الَّتِي يُقَدَّمُ إِلَيْهَا الْمُتَهَمُونَ بِالْخِيَانَةِ أَوْ الْقَتْلِ، لِذَا كَانَتْ عَادَةً تَغْصُ بِالْحُضُورِ.

سَأَلَ جَرِي الرَّجُلَ الَّذِي يَجْلِسُ إِلَى جِوَارِهِ بِصَوْتٍ أَجَشٍّ قَائِلًا: «مَا الْخَبْرُ؟»



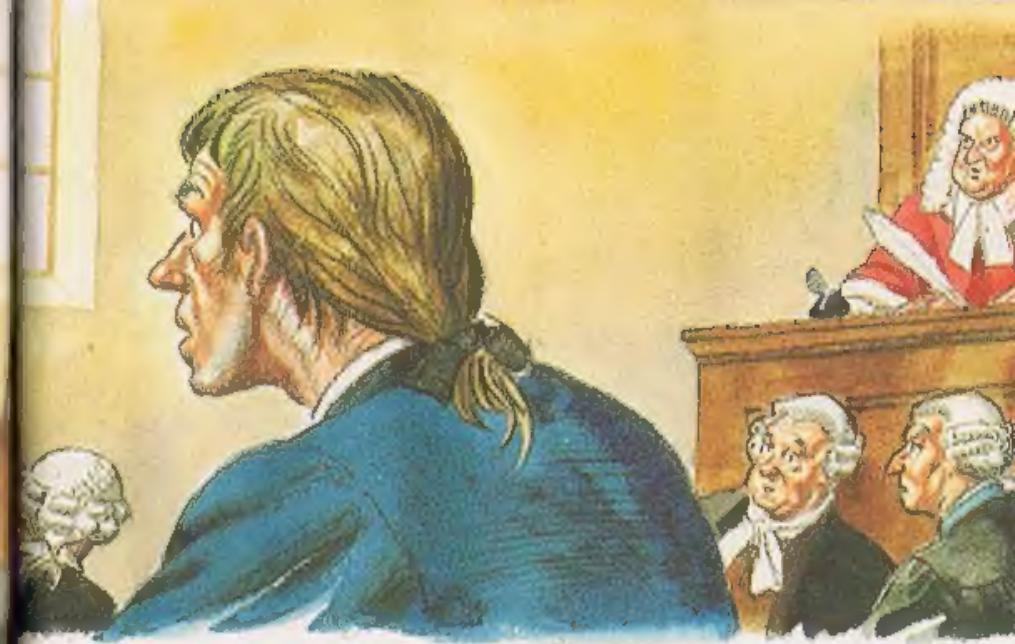
«تَقُولُ إِنَّكَ وَاثِقٌ مِنْ أَنَّ الَّذِي شَاهَدْتَهُ هُوَ الْمُتَّهَمُ؟»
وَكَانَ الشَّاهِدُ وَاثِقًا.

«هَلْ رَأَيْتَ مِنْ قَبْلُ رَجُلًا يُشَبِّهُ الْمُتَّهَمَ؟»

«لَمْ أَرْ فِيمَنْ قَابَلْتُ شَبْهًا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّمْيِيزِ.»

أَشَارَ الْمُحَامِي إِلَى سِدْنِي كَارْتْنِ، وَقَالَ: «أُنْظُرْ مَلِيًّا إِلَى صَدِيقِي هُنَاكَ، أَلَا تَرَى شَبْهًا قَوِيًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُتَّهَمِ؟» وَكَانَ سِدْنِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَدْ قَفَزَ مِنْ مَقْعَدِهِ وَرَفَعَ شَعْرَهُ الْمُسْتَعَارَ بِإِنْجَاءٍ.

لَمْ يَكُنْ أَمَامَ الشَّاهِدِ غَيْرُ أَنَّ يَسْتَسْلِمَ وَيَسْحَبَ شَهَادَتَهُ. فَبُرِّئَتْ سَاحَةُ شَارْلٍ دَارْنِي.



كَانَ عَلَى السَّيِّدِ لُورِي وَلُوسِي وَالْدُّكْتُورِ مَانِتَ أَنْ يَشْهَدُوا فِي الْمَحْكَمَةِ لِأَنَّهُمْ حِينَ عَادُوا إِلَى إِنْكِلْتَرَةِ قَبْلُ خَمْسِ سَنَوَاتٍ كَانُوا عَلَى الْمَرْكَبِ نَفْسِهِ الَّذِي وَصَلَ عَلَيْهِ الْمُتَّهَمُ. وَدَمَعَتْ عَيْنَا لُوسِي، لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تُصَدِّقُ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ اللَّطِيفَ الَّذِي رَافَقَهُمْ فِي رِحْلَتِهِمْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ جَاسُوسًا. وَقَدْ رَدَّ شَارْلٌ عَلَى التُّهْمِ بِقَوْلِهِ إِنَّ رِحْلَاتِهِ إِلَى إِنْكِلْتَرَةِ ذَاتُ طَائِعٍ عَائِلِيٍّ وَلَيْسَتْ لِلتَّجَسُّسِ. وَقَدْ اتَّهَمَهُ بِالتَّجَسُّسِ خَادِمُهُ وَرَجُلٌ آخَرُ اسْمُهُ جُون بَارَسَاد.

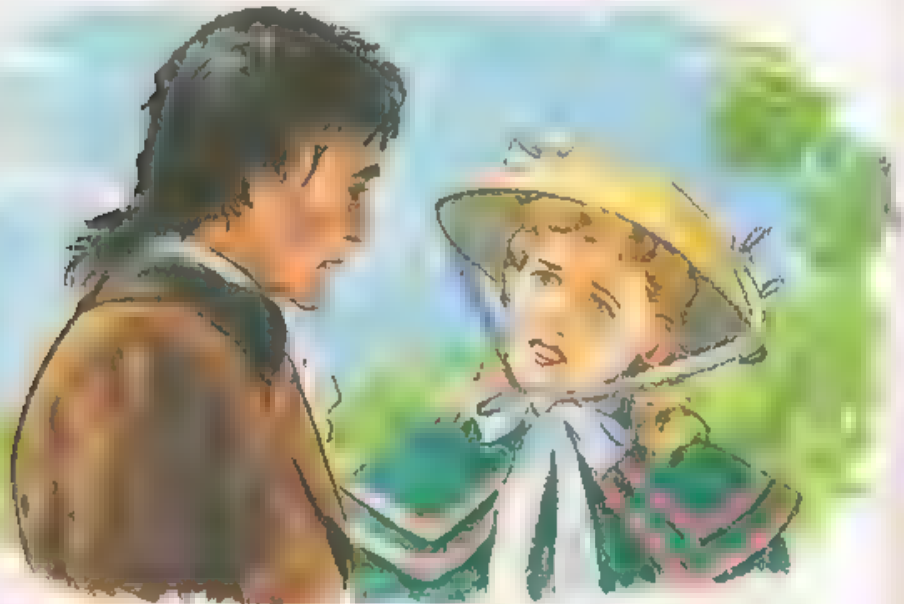
كَانَ مُحَامِي شَارْلٌ يَسْتَجِوبُ أَحَدَ الشُّهُودِ حِينَ رَمَى إِلَيْهِ سِدْنِي كَارْتْنِ، فَجَاءَهُ، بِلُفَافَةٍ وَرَقٍ. قَرَأَ الْمُحَامِي الْوَرَقَةَ، ثُمَّ تَابَعَ اسْتِجَابَتَهُ قَائِلًا:

سِدي كارتن كان يُحبُّ لوسي أيضًا لَكِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا
بِئْسَ مَا يُقَدِّمُهُ لَهَا. فَكَادَ أَنْ يُبْعِضَ شَارْلَ دَارْتِي لِهَذَا الشَّبَّهِ
بَيْنَهُمَا ، وَلِأَنَّهُ لَوْلَاهُ لَرُبَّمَا كَانَ فَارَ بِقَلْبِ لوسي.

بَدَأَ سِدي حَيَاتُهُ مُحَافِيًا نَابِهَا ، لَكِنَّهُ سُرْعَانَ مَا أَهْمَلَ نَفْسَهُ
وَأَهْمَلَ عَمَلَهُ ، فَسَاءَ حَالُهُ. وَحِينَ وَقَعَ فِي حُبِّ لوسي ، شَعَرَ
بِنَدَمٍ عَمِيقٍ عَلَى إِهْدَارِهِ عَمَلَهُ وَمُسْتَقْبَلِهِ.

وَالْتَقَاها ذَاتَ يَوْمٍ ، وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ أَنَّهَا سَتَقْتَرِنُ بِشَارْلَ ،
وَبَاحَ لَهَا بِحُبِّهِ. وَكَانَتْ لوسي مُعْجَبَةً بِشَهَامَتِهِ فَرَجَّتُهُ أَنْ يُقْلَعَ عَنْ
إِهْمَالِ نَفْسِهِ ، وَوَعَدَتْ بِأَنْ تَعْتَبِرَهُ دَائِمًا أَحًا وَصَدِيقًا.

نَظَرَ إِلَيْهَا نَظْرَةً جَادَّةً حَزِينَةً وَقَالَ : «تَذَكَّرِي دَائِمًا بِأَنَّ هُنَاكَ
رَجُلًا مُسْتَعِيدًا أَنْ يُقَدِّمَ حَيَاتَهُ فِي سَبِيلِ إِنْقَادِ مَنْ تُحِبِّينَ.» لَمْ
تَفْهَمْ لوسي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَعْنَى لِعِبَارَتِهِ تِلْكَ



مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَخَذَ شَارْلَ دَارْتِي وَسِدي كَارْتِنَ يَتَرَدَّدَانِ عَلَى
بَيْتِ الدُّكْتُورِ مَآيْتِ وَلوسي زَائِرَيْنِ. لَمْ يَكُنْ شَارْلَ يَرْغَبُ فِي
الْعُودَةِ إِلَى فَرَنْسَةِ فَعَمِلَ مُدْرَسًا لِللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ. وَأَخَذَ يَتَوَدَّدُ إِلَى
لوسي الَّتِي كَانَتْ هِيَ أَيْضًا مُعْجَبَةً بِهِ.

وَلَمْ تَكُنِ الْآنِسَةُ بَرُّسَ رَاضِيَةً عَنْ شَارْلَ ، وَكَثِيرًا مَا كَانَتْ
تَتَمَنَّى قَائِلَةً : «لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَى عَشْرَاتِ الشَّبَّانِ الْفَاشِيَّينَ يَأْتُونَ إِلَى
هُنَا وَيَدُورُونَ حَوْلَ الْفَرَّاشَةِ.»

وَكَانَ تَصَرُّفُ الدُّكْتُورِ مَآيْتِ غَرِيبًا. فَقَدْ كَانَ يُحِبُّ شَارْلَ
وَيَحْتَرِمُهُ ، وَلَكِنَّ شَيْئًا أَقْفَقَهُ وَأَدْخَلَ فِي قَلْبِهِ الرَّوْعَ. فَكَانَتْ تَعُودُ
إِلَيْهِ هَوَاجِسُهُ وَيَلْجَأُ إِلَى عُلَّتِيهِ ، وَيَسْهَرُ اللَّيْلَ يُصْلِحُ الْأَحْذِيَّةَ.
وَتِلْكَ عَلَامَةٌ عَلَى أَنَّ فِي الْأَمْرِ سُوءًا.

الزَّبَائِنُ يَلْعَبُونَ الْوَرَقَ . وَجَاءَ مِنَ الرَّيْفِ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ قَاتِلَ
الْمَرْكِيزِ قَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهِ الْقَبْضُ وَأُعْذِمَ شَنْقًا .

وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ دُوفَارِجُ تَحْتَفِظُ بِسِجِلٍ عِنْدَهَا لِأَمْثَالِ هَذِهِ
الْأَحْدَاثِ . فَإِنَّهَا كَانَتْ تَحْكُ أَصْنَافَ الْمَسْئُولِينَ عَنِ الشُّرُورِ
عِنْدَهَا حِيَاكَةً دَقِيقَةً . وَدَخَلَ الْحَانُوتَ ، يَوْمًا ، جَاسُوسٌ لِلْإِنْكِلِيزِ
هُوَ جُونُ بَارْسَادُ . الَّذِي كَانَ قَدْ شَهِدَ فِي جَلْسَةٍ مَحْكَمَةٍ
أُولَدَ بَيْلِي . وَسَأَلَ السَّيِّدَةَ عَنْ حِيَاكَتِهَا قَائِلًا :

«تَحْكُ كَيْنَ بَرَاغَةٍ . يَا سَيِّدَتِي .»

«مَارَسْتُ ذَلِكَ طَوِيلًا .»

«هَلْ لِي أَنْ أَسْأَلَ لِمَ تَحْكُ كَيْنَ؟»

«أَقْطَعُ الْوَقْتَ .» وَرَاحَتْ أَنْامِلُهَا تَتَحَرَّكُ بِرَشَاقَةٍ .

«أَلَا تَنْوِينِ الْإِفَادَةَ مِنْ حِيَاكِتِكَ؟»

تَجَهَّمَتْ وَجْهَ السَّيِّدَةِ . وَقَالَتْ : «قَدْ أُفِيدُ مِنْهَا يَوْمًا .»

وَصَلَ السَّيِّدُ دُوفَارِجُ فَتَلَقَّاهُ جُونُ بَارْسَادُ وَحَدَّثَهُ عَنْ لُوسِي .
ابْنَةِ الدُّكْتُورِ مَانِتَ . وَأَنَّهَا سَتَتَزَوَّجُ شَارْلَ دَارْنِي . ابْنَ أَخِي
الْمَرْكِيزِ الْقَتِيلِ أَفْرِيْمُونْدَ .

رَاحَتْ أَصَابِعُ السَّيِّدَةِ دُوفَارِجُ تَعْمَلُ بِسُرْعَةٍ حِينَ سَمِعَتْ
النَّبَأَ . وَحَاكَتْ اسْمَ شَارْلَ دَارْنِي . ثُمَّ لَفَّتْ صُوفَهَا وَوَضَعَتْهُ بِعَيْنَايَةِ
جَانِبًا .



وفي أَحَدِ حَوَانِيَتِ بَارِيسِ جَلَسَتِ السَّيِّدَةُ دُوفَارْجُ ،
كِعَادَتِهَا ، تَغْزِلُ الصُّوفَ خَلْفَ طَاوِلَةِ الْمَدْخَلِ ، يَنْمُو رَاحَ

العاصفة في فرنسة تتجمع

لَمْ يَكُرِ النُّبَلَاءُ فِي فَرَنْسَةِ يُصَدِّقُونَ أَنَّ الْعَوَامَّ الْفُقَرَاءَ يُمَكِّنُ أَنْ يَثُورُوا عَلَيْهِمْ. فَكَانُوا يَعَامِلُونَ الْفَلَاحِيْنَ وَكَأَنَّ هَؤُلَاءِ لَا مَشَاعِرَ إِنْسَانِيَّةٍ لَهُمْ

كَانَ أَسْوَأُ أَوْلَئِكَ النُّبَلَاءِ الشَّرْسِيْنَ رَجُلٌ اسْمُهُ الْمَرْكِيزُ أَفْرِيْمُونْد. كَانَ ذَا وَجْهِ شَاحِبٍ يَقْطُرُ تَعَالِيًا، وَذَا ثِيَابٍ فَاحِشَةٍ أَبَدًا. وَكَانَتْ عَرَبَتُهُ تَنْطَلِقُ بِهِ فِي الرِّيفِ بِسُرْعَةٍ مُخِيفَةٍ، فَتَرَى



النَّاسَ يَتَرَاكُضُونَ مِنْ أَمَامِهِ مَذْعُورِينَ

وَذَاتَ يَوْمٍ، صَدَمَتْ عَرَبَتُهُ طِفْلةً، وَرَاحَتْ تَجْرُهَا عَلَى الطَّرِيقِ. فَتَصْدَى لِلْعَرَبَةِ فَرِيقٌ غَاضِبٌ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ.

أَطْلَ الْمَرْكِيزُ، وَسَأَلَ بِرُودَةٍ: «مَا الْأَمْرُ؟» وَرَأَى رَجُلًا طَوِيلًا، وَقَدْ ارْتَمَى عَلَى الْوَحْلِ. بَتَنَاولُ الطِّفْلةَ الْمَيِّتَةَ وَيَجَارُ كَمَا يَجَارُ حَيَوَانٌ بَرِّيٌّ جَرِيحٌ.

قَالَ الْمَرْكِيزُ بِاشْمِيزَاز: «لِمَ يَصْرُخُ هَذَا الصُّرَاحُ الْكَرِيهَ؟ هَلِ الطِّفْلةُ أَمَاتَتْ؟ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَتَعَلَّمُوا كَيْفَ تُحَافِظُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَلَى أَوْلَادِكُمْ. لَا أَرَاكُمْ إِلَّا تَقْفُونَ فِي طَرِيقَا. مَا أُدْرَانِي الْآنَ أَنْكُمْ لَمْ تَتَسَبَّوْا بِجَرْحِ جِيَادِي؟ أَعْطُوهُ هَذِهِ!» وَرَمَى إِلَى الطَّرِيقِ بِقِطْعَةٍ تُقَوِّدُ ذَهَبِيَّةً.

مَا إِنَّ انْطَلَقَتْ الْعَرَبَةُ حَتَّى وَقَعَ فِيهَا شَيْءٌ مُحْدِثًا رَيْبًا. كَانَ ذَلِكَ قِطْعَةً النُّقُودِ

صَرَخَ الْمَرْكِيزُ فِي غَضَبٍ قَاتِلًا: «مَنْ رَمَى ذَلِكَ؟»

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَحِدَ الْمَرْكِيزُ مَقْتُولًا فِي سَرِيرِهِ بِطَعَنَاتِ حَنْجَرٍ. وَوَحِدَ مَعَ الْخِنْجَرِ كَلِمَةٌ تَقُولُ:

«إِخْمِلُوهُ إِلَى قَبْرِهِ سَرِيعًا. هَدِيَّةٌ مِنْ - جَاك.»

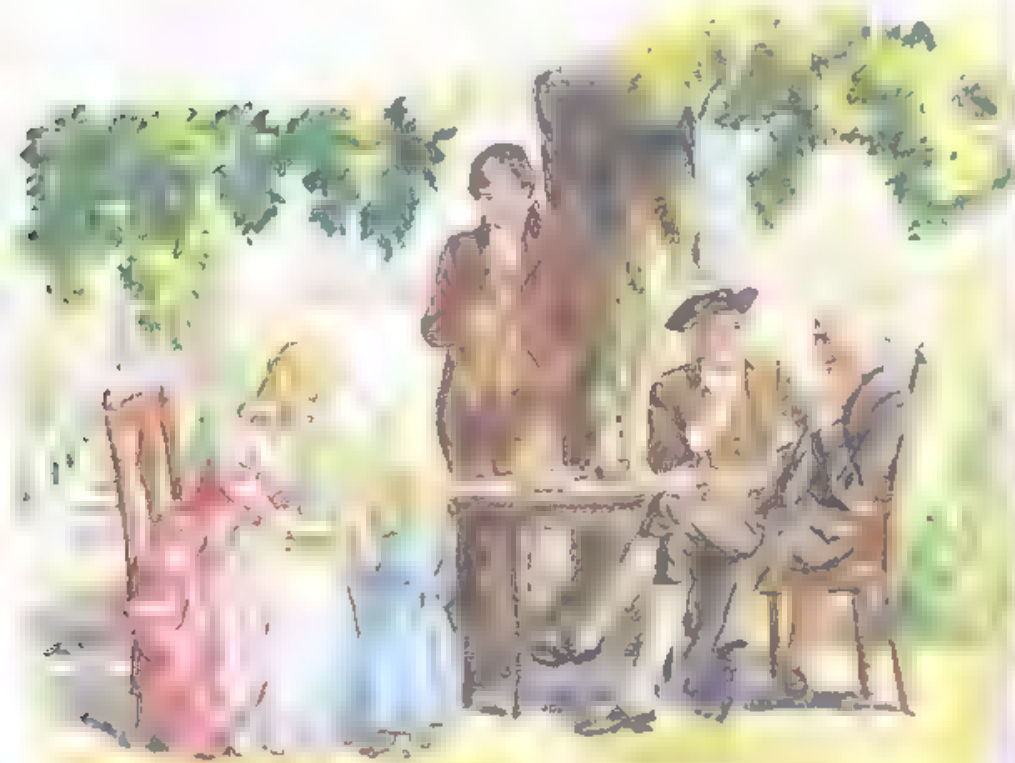
و«جَاك» كَلِمَةُ السَّرِّ الَّتِي كَانَ الْفُقَرَاءُ يَسْتَعْمِلُونَهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ.

تَغَلَّبَ سَدَنِي كَارْتُس عَلَى غَيْرَتِهِ مِنْ شَارِل ، وَرَغَبَ فِي أَنْ
يَكُونَ صَدِيقًا مُخِصًّا لِلْأُسْرَةِ . وَقَدْ رَحَّبَ شَارِل وَلَوْ سِي بِصَدَقَةِ
سَدَنِي . لَأَتَتْهُمَا كَمَا يَعْنَسَانِ دُنَى شَهْمٍ طَيِّبِ الْقَلْبِ

أَصِيبَ الدُّكْتُورِ مَانِت ، بَعْدَ زَوْجِ أُنْتِه . نَوْنَةُ قَاسِيَةِ مِنْ
بَاتِ هُوَحْسِه . فَعَادَ إِلَى غُلَّتِيهِ يُصْبِحُ الْأَحَدِيَةِ . لَكِيَّةُ تَعَبَتْ
تَرْيِجًا عَلَى مَخْنَتِهِ . وَعَدَدَ يَعِيشُ مَعَ أُنْتِه وَأُسْرَتِهَا عَيْشَةً رَاضِيَةً
مَرَّتْ سَوَاتٌ عَلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ الْهَيْئَةِ . إِنْ أُنْ حَدَثَ أَمْرٌ كَانَ
مَسَدَرًا لَهُ أَنْ يَغَيِّرَ حَيَاتَهُمْ جَمِيعًا .



حِينَ سَمِعَ شَارِلَ مَضْرُوعَ عَمَلِهِ كَانَ يَسْتَعِدُّ لِمَقْدَرِهِ فَرَانَهُ عَلَى
لَوْ سِي وَهَكَذَا أَلَّ إِلَيْهِ لَقَبُ مَرْكَبِ أَفْرِيْمُونْدَ ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ
عَمَلَهُ سِرًّا لِقِسَاوَتِهِ وَسَوْءِ مُعَامَلَتِهِ لِلْفَلَاحِينَ الَّذِينَ كَانَ هُوَ يَتَعَاطَفُ
مَعَهُمْ . وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَى وَكَيْلٍ عَسَالِيٍّ يَطْلُبُ مِنْهُ لَّا يَتَقَاضَى آخَرًا
مِنَ الْفَلَاحِينَ وَنَهَى يُضَعَّ غَيْرُ الدُّكْتُورِ مَانِتَ عَلَى لَهْمِ الْحَدِيدِ .
وَوَظَلَّ يُعْرِفُ بَيْنَ النَّاسِ بِاسْمِ شَارِلِ دَارْتِي .



الْمَدِينَةِ ، وَمَاجَتْ عَابَةٌ مِنَ الْأَسْلِحَةِ الْحَادَّةِ ، وَاهْتَزَّتْ فِي الْهَوَاءِ .
وَكَانَ النَّاسُ يَتَلَقَّفُونَ مَا يَقَعُ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَدَوَاتٍ قَاطِعَةٍ :
سَكَكِينَ ، قُضَانٍ حَدِيدِيَّةٍ ، فُؤُوسٍ وَحَتَّى حِجَارَةِ الْجُدْرَانِ .

جَاشَ الْجُمْهُورُ حَوْلَ حَانُوتِ دُوفَارْجَ ، الَّذِي كَانَ مَرْكَزَ
التَّحْرُكِ ، كَمَا يَجِيشُ الْإِعْصَارُ . وَكَانَ دُوفَارْجُ يُصْدِرُ أَوَامِرَهُ إِلَى
حَاكِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَالثَّالِثِ . أَمَّا السَّيِّدَةُ دُوفَارْجُ فَكَانَتْ ، هَذِهِ
الْمَرَّةَ ، تَحْمِلُ قَاسًا بَدَلَ شُغْلِ الصُّوفِ .



زَادَ الْأَمْرَ سُوءًا فِي فَرَسَةِ أَنَّ مَجَاعَةً ضَرَبَتْ الرَّيْفَ الْفَرَنْسِيَّ
الْجَمِيلَ . فَقَدْ كَانَ مَوْسِمُ الْقَمْحِ شَحِيحًا ذَلِكَ الْعَامَ وَبَاتَ
الْحَبْزُ نَادِرًا ، فَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ قَادِرًا عَلَى الْحُصُولِ عَلَيْهِ .
وَتَحَوَّلُوا إِلَى الْبَصْلِ وَالْأَعْشَابِ وَأَوْرَاقِ الشَّجَرِ يَطْمَحُونَ خَلِيطًا
عَجِيبًا مِنْهَا وَيَأْكُونُهُ . وَكَانَ يَزِيدُ فِي فَقْرِهِمُ الضَّرَائِبُ الْبَاهِظَةُ
الَّتِي يَدْفَعُونَهَا لِلدَّوْلَةِ ، وَرِجَالُ الدِّينِ ، وَصَاحِبِ الْأَرْضِ الَّتِي
يَعْمَلُونَ فِيهَا دُونَ مُقَابِلِ . وَلَمْ تَكُنِ الْحَالُ فِي الْمَدْنِ أَفْضَلَ ، فَلَا
أَشْغَالَ وَلَا مَبَادِلَاتٍ تِجَارِيَّةٍ وَلَا طَعَامَ .

لَمْ يَكُنِ النُّبْلَاءُ وَلَا رِجَالُ الدِّينِ يَدْفَعُونَ ضَرَائِبَ وَكَانَ عَلَى
كُلِّ مَنْ عَدَا هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ الشَّعْبِ أَنْ يَدْفَعَ الضَّرَائِبَ لِلْقِيَامِ
بِحَاجَةِ قُصُورِ النُّبْلَاءِ وَالْثِيَابِ الْفَاحِشَةِ الَّتِي يَلْبَسُونَهَا وَمِنَاتِ الْخَدَمِ
الَّذِينَ يَخْدِمُونَهُمْ . كَانَ لَا بُدَّ لِلثَّوْرَةِ أَنْ تَتَفَجَّرَ ، عَاجِلًا أَمْ آجِلًا .
فَقَدْ كَانَ الْفُقَرَاءُ جَانِعِينَ نَاقِمِينَ ، دُونَ أَنْ يَفْعَلَ أَحَدٌ شَيْئًا
لِلتَّخْفِيفِ عَنْهُمْ . وَكَانَ يَحِقُّ لِلنُّبْلَاءِ أَنْ يَنْصَرَفُوا فِي حَيَاةِ الْفُقَرَاءِ ،
وَحَيَاةِ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُعَارِضُونَهُمْ ، فَيَقْتُلُوهُمْ أَوْ يَسْجُونَهُمْ مَدَى
الْحَيَاةِ فِي الْبَاسْتِيلِ أَوْ سِوَاهُ مِنَ السُّجُونِ .

كَانَ هَيَاجُ الشَّعْبِ فِي أَرْقَةِ بَارِيسَ ، بِفِعْلِ تِلْكَ
الْمُمَارَسَاتِ ، قَدْ بَلَغَ ذُرْوَتَهُ . فَارْتَفَعَ هَدِيرٌ مُخِيفٌ فِي شَوَارِعِ

صاحَ دوفارج بِصَوْتِهِ الْأَجَشَّ الْقَوِيَّ: «أَيُّهَا الْمَوَاطِنُونَ
وَالْأَصْدِقَاءُ، نَحْنُ جَاهِرُونَ! إِلَى الْبَاسْتِيلِ!»

انْدَفَعَ الْجُمْهُورُ الْغَاضِبُ بِهَدِيرٍ مُخِيفٍ نَحْوَ السَّجْنِ الْبَغِيضِ.
لَقَدْ بَدَأَ الْهُجُومُ. كَانَ الدُّخَانُ يَنْصَاعِدُ وَالنَّارُ تَسْتَعِرُ وَالْأَجْرَاسُ
تُقْرَعُ وَالطَّبُولُ تُضْرَبُ. كَانَ قَدْ اخْتَشَدَ الْآنَ خَمْسَةُ وَعِشْرُونَ
أَلْفَ جَاكٍ، جَمِيعُهُمْ قَذَفُوا بِأَنْفُسِهِمْ إِلَى قَلْبِ الْهُجُومِ بِقِيَادَةِ
دوفارج وَرَوْجَتِهِ.

ظَلَّ يَحْرُ الْإِنْتِقَامِ الرَّهِيْبِ، طَوَالَ حَمْسِ سَاعَاتٍ، يَضْرِبُ
أَسْوَارَ السَّجْنِ، إِلَى أَدْرِ ارْتِفَاعِ عِلْمٍ أَيْبُضُ بِالْإِسْتِسْلَامِ. وَحَمَلَ
الْمَدُّ الْبَشَرِيُّ الْمُهَاجِمُ دوفارجَ إِلَى الْجِسْرِ الْمُنْتَحِرِكِ ثُمَّ إِلَى دَاخِلِ
السَّجْنِ، وَالْأَصْوَاتُ تَهْدُرُ مُرَدَّدَةً:

«إِلَى الْأَسْرَى!»

«إِلَى السَّجَلَاتِ!»

«إِلَى الزُّنْزَانَاتِ السَّرِيَّةِ!»

«إِلَى مُعَدَّاتِ التَّعْدِيبِ!»



أَمَّا دوفارَج فكانَ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ.

صاحَ في وَجْهِ أَحَدِ السَّجَانِينَ قَائِلًا: «أُرِنِي الطَّرِيقَ إِلَى البَرَجِ الشَّمَالِيِّ، الزَّنْزَانَةِ ١٠٥!» فَقَادَهُ السَّحَّانُ المَدْعُورُ إِلَى الزَّنْزَانَةِ الَّتِي كَانَ الدُّكْتُورُ مَانِتَ تَرْيَلَهَا. فَتَشَرَّ دوفارَجَ الزَّنْزَانَةَ تَفْقِيشًا دَقِيقًا، فَعَثَرَ عَلَى أَوْرَاقٍ مُخَبَّأَةٍ خَلْفَ حَجَرٍ مِنْ حِجَارَةِ المِدْخَنَةِ. حَدَثَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي ١٤ تَمُوزَ (يُولِيَّة)، عامَ ١٧٨٩.



أَقْلَقَتِ الأَحْدَاثُ السَّيِّدَ لُورِي كَثِيرًا. وَقَدْ عَادَ إِلَى لَنْدَنَ فِي العامِ ١٧٩٢ جَالِيًا مَعَهُ رِسَالَةٌ مِنْ بَارِسَ مُوجَّهَةٌ إِلَى المَرْكَيزِ أَفْرِيْمُونْد. فَأَرَى شَارْلَ دَارْتِي الرِّسَالَةَ عَنْهُ يَعْرِفُ صَاحِبَهَا. قَالَ شَارْلُ: «أَنَا أَوْصِلُ الرِّسَالَةَ.» دُونَ أَنْ يَكْشِفَ حَقِيقَةَ شَخْصِيَّتِهِ. وَعِنْدَمَا خَلَا بِنَفْسِهِ فَتَحَ الرِّسَالَةَ وَقَرَأَهَا، ثُمَّ صَاحَ: «عَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى فَرَنْسَةِ حَالًا!»

كَانَتِ الرِّسَالَةُ مِنْ وَكِيلِ أَعْمَالِهِ چَابِيل، الَّذِي أُدْخِلَ السَّجْنَ، فَأَرْسَلَ إِلَى شَارْلَ بِسَأَلِهِ العَوْنَ.

لَمْ يَكُنْ فِي وُسْعِ شَارْلَ أَنْ يَخْذَلَ وَكِيلَ أَعْمَالِهِ، فَارْتَحَلَ، فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ نَفْسَهَا، إِلَى فَرَنْسَةِ.



وَصَلَ شَارْلُ فَرَنْسَةَ فَعَرَفَ أَنَّ الشَّعْبَ تَوَلَّى السُّلْطَةَ وَزَجَّ
بِالْمَلِكِ فِي السَّجْنِ. لَمْ يَكُنْ بِإِمْكَانِهِ التَّجَوُّلُ مِنْ غَيْرِ تَضَرُّعٍ
يُؤَكِّدُ أَنَّهُ مُوَاطِنٌ صَالِحٌ. فَأَوْقَفَهُ حَرَسٌ جُفَاءً يَلْبَسُونَ طَاقِيَاتٍ
حُمْرَاءَ وَاقْتَادُوهُ إِلَى بَارِيسَ. وَهُنَاكَ اسْتَوْقَفَتْهُ الْجُمُوعُ وَصَرَخَتْ فِي
وَجْهِهِ ، وَكَلَّفَ الْمَوَاطِنُ دُوفَارْجَ تَوَلَّى أَمْرَهُ.

سَأَلَ دُوفَارْجَ عَنْ أَوْرَاقِ السَّجْنِ. وَحِينَ رَأَاهَا عَرَفَ شَخْصِيَّةَ
شَارْلَ الْحَقِيقِيَّةَ. فَأَرْسَلَهُ إِلَى ضَابِطٍ آخَرَ. وَهُنَاكَ أُخْبِرَ أَنَّ لَا
حَقُوقَ لَهُ بِاعْتِبَارِهِ مِنَ النَّبْلَاءِ ، وَأَنَّهُ سَيُسَجَّنُ فِي زِنْرَانَةٍ مُنْفَرِدَةٍ.
وَكَانَ دُوفَارْجَ قَدْ سَأَلَهُ إِنْ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ فَعَلَّا إِنَّهُ الدُّكْتُورُ
مَانِتَ. فَرَدَّ شَارْلُ بِالْإِجَابِ. عِنْدَئِذٍ قَالَ دُوفَارْجَ :

«وَهَلْ أَنْتَ مَجْنُونٌ لَتَعُودَ إِلَى هُنَا وَتُعَرِّصَ نَفْسَكَ لِخَطَرِ
الْمَوْتِ تَحْتَ الْمِقْصَلَةِ؟»

أَخْبَرَهُ شَارْلُ بِأَنَّهُ عَادَ لِيُسَاعِدَ وَكَيْلَ أَعْمَالِهِ ، وَرَجَاهُ أَنْ
يَحْمِلَ رِسَالَةً مِنْهُ إِلَى مَكْتَبِ السَّيِّدِ لُورِي فِي بَارِيسَ. لَكِنْ
دُوفَارْجَ رَدَّ بِغُبُوسٍ قَائِلًا :

«لَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ. إِنْ وَاجِبِي هُوَ تَجَاهَ بَلَدِي.»
كَانَ سِجْنُ لَافُورْسَ كَثِيمًا ، مُعْتَمًا وَسِيخًا ، تَفُوحٌ مِنْهُ رَوَائِحُ
كَرِيهَةٌ. مَرَّ شَارْلُ عَبْرَ عُرْفَةٍ طَوِيلَةٍ مُقَوَّسَةٍ السَّقْفِ نَعَجُ بِالسُّحَاءِ

مِنَ الْجِنْسَيْنِ. وَكَانَ هَؤُلَاءِ مِنَ النَّبْلَاءِ الَّذِينَ حَافَظُوا فِي السَّجْنِ
عَلَى تَصَرُّفِهِمُ اللَّاتِقِ ، وَكَبِيرِيائِهِمْ ، وَحَتَّى عَلَى ثِيَابِهِمُ الَّتِي كَانَتْ
ذَاتَ يَوْمٍ ثِيَابًا فَاخِرَةً. قَالَ شَارْلُ فِي نَفْسِهِ حِينَ رَأَاهُمْ : «مَا
أَشْبَهُهُمْ بِالْأَشْبَاحِ ! لَا شَكَّ أَنَّهُمْ مَيِّتُونَ !»

أُودِعَ فِي زِنْرَانَةٍ مُنْفَرِدَةٍ وَمُنِعَ عَنْهُ مَا يَكْتُبُ بِهِ. فَعَلِمَ ،
عِنْدَئِذٍ ، أَنَّ لَا رَجَاءَ فِي عَدَالَةٍ أَوْ رَحْمَةٍ ، وَأَنَّ الْمَوْتَ آتٍ لَا
مَحَالَةَ .

وَقَالَ الدُّكْتُورُ مَانِتَ: «لَقَدْ كُنْتُ نَزِيلَ الْبَاسْتِيلِ، فَلَنْ
بَتَعَرَّضَ لِي أَحَدٌ فِي بَارِيسَ. أَتَيْتُ أُخَلِّصُ شَارْلَ.»

ثُمَّ نَزَلَ إِلَى السَّاحَةِ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْحُمُورُ الْمُتَعَطِّشُ لِلدَّمَاءِ
وَالْهَتَفِ. فَدَعَاهُمْ إِلَى إِنْقَازِ شَارْلَ دَارْنِي. حَمَلَهُ الْحُمُورُ
بِحِمَاسَةٍ وَمَشَى، يَنْمُو بِقِيَّتِ لُوسِي وَطِفْلَتِهَا وَالسَّيِّدُ لُورِي فِي
الْإِنْتَظَارِ عَوْدَتِهِ.

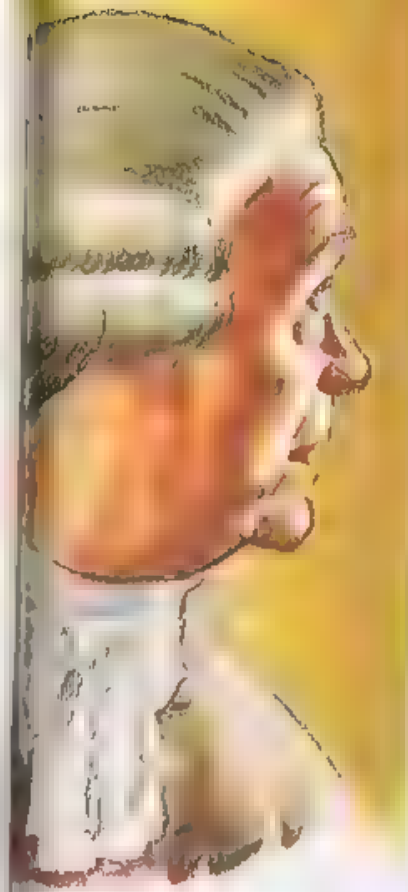
عَادَ دُوفَارْجَ فِي الصَّبَاحِ وَمَعَهُ رِسَالَةٌ مِنَ الدُّكْتُورِ مَانِتَ.
وَفِيهَا: «شَارْلَ بِخَيْرٍ. لَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ أَتَرَكَ هَذَا
الْمَكَانَ.» وَأَضْطَحَبَ دُوفَارْجَ مَعَهُ زَوْجَتَهُ، فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهَا لُوسِي
وَقَبَّلَتْ يَدَهَا الْبَارِدَةَ الثَّقِيلَةَ امْتِنَانًا.

سَأَلَتِ السَّيِّدَةُ دُوفَارْجَ، وَهِيَ تُشِيرُ إِلَى الطِّفْلَةِ بِصَارَةِ الْحَيَاكَةِ
الَّتِي نَدَتْ كَانْهَا إِضْبَعُ الْقَدَرِ: «أَهْذِهِ ابْنَتُهُ؟»

تَوَسَّلَتْ إِلَيْهَا لُوسِي قَائِلَةً: «سَاعِدِينِي، أَرْجُوكِ! إِعْتَبِرِينِي أُحْتًا
لَكَ.»

«لَقَدْ رَأَيْنَا أَحْوَاتِنَا يَشْقَيْنَ طَوَالَ حَيَاتِهِنَّ. فَلَنْ يَضِيرَنَا أَنْ تَشْقَى
أُحْتٌ أُخْرَى.» ثُمَّ خَرَجَتْ، وَهِيَ لَا تَزَالُ نَحُوكُ بِصُوفِهَا.

أَحْسَتْ لُوسِي بِاضْطِرَابٍ شَدِيدٍ، وَقَالَتْ: «هَذِهِ الْمَرْأَةُ
لَمْخِيفَةٌ أَدْخَلَتِ الْيَأْسَ إِلَى قَلْبِي.»



فِي السَّاحَةِ الَّتِي يُشْرِفُ عَلَيْهَا مَكْتَبُ السَّيِّدِ لُورِي فِي بَارِيسَ،
كَانَتْ تُسْمَعُ أَصْوَاتُ مُرْعِبَةٍ صَادِرَةٍ عَنْ شَحْرِ السَّكَاكِينِ
وَالْقُورُوسِ.

دَبَّ الرُّعْبُ فِي قَلْبِ السَّيِّدِ لُورِي وَقَالَ: «سَيَقْتُلُونَ السُّجَنَاءَ!»
فَحَاةً، دَخَلَ الدُّكْتُورُ مَانِتَ وَلُوسِي وَمَعَهُمَا بِنْتُ صَغِيرَةٌ.

«مَاذَا جَرَى؟ مَا الَّذِي جَاءَ بِكُمْ إِلَى بَارِيسَ؟»

صَاحَتْ لُوسِي: «زَوْجِي!»

صَدَرَتْ لَوْسِي تَأْخُذُ ابْنَتَهَا وَتَذْهَبُ يَوْمِيًّا إِلَى السَّاحَةِ الْمُحَاوِرَةِ
لِلسَّجْنِ فَتَمْشِي هُنَاكَ ، وَتَنْظُرُ إِلَى شَبَاكِ زِينَانَةِ زَوْجِهَا فِي الطَّابِقِ
الْعُلَوِيِّ . وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ دُوفَارْجُ تَرَأِّيَهَا ، وَقَدْ عَقَدَتِ الْعَرَمَ عَلَى
أَلَا تَدْعَ أَحَدًا مِنْ أَفْرَادِ تِلْكَ الْأُسْرَةِ يَنْجُو مِنَ الْمِقْصَصَةِ .

كَانَ النَّبْلَاءُ يُسَاقُونَ إِلَى الْمِقْصَصَةِ فِي عَرَبَاتٍ . تَتَوَقَّفُ الْعَرَّةُ
أَمَامَ سِقَالَةٍ عَالِيَةٍ ، ثُمَّ يُؤْخَذُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ فَيَجْثُو عَلَى رُكْبَتَيْهِ ،
وَيُثَبَّتُ رَأْسُهُ إِلَى مِئْصَةِ . ثُمَّ يُسْقَطُ نَضْلٌ قَاطِعٌ ثَقِيلٌ مُنْصِلٌ
بِبَكْرَةٍ . فَيَدْفَعُ مُتَسَارِعًا فِي سَقُوطِهِ إِلَى عُنُقِ الضَّحِيَّةِ ، فَيَنْفَصِلُ
الرَّاسُ عَنِ الْحَسَدِ وَيَقَعُ فِي سَلَةٍ . وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ دُوفَارْجُ وَالنِّسَاءُ
الْأُخْرَيَاتُ يَغْدُدْنَ الرُّؤُوسَ الْوَاقِعَةَ ، دُونَ أَنْ يَتَوَقَّفْنَ عَنْ حَيَاكَةِ
الصُّوفِ ، وَيُرَدِّدْنَ . «الْمِقْصَصَةُ خَيْرٌ دَوَاءً لِلصَّدَاعِ» .



«نريدُ المواطنَ أفريموندَ ، المعروفَ بدارني .»

«مَنْ يُريدهُ؟»

«اعرفك يا أفريموند . رأيتك اليومَ تمثلُ أمامَ المحكمةِ .
ستعودُ إلى سجنِ الشعبِ مرةً أخرى .»

«لماذا؟ ما الذي حَدَثَ؟»

«أنتَ مُتهمٌ . اتهمَكَ المواطنُ دوفارجُ والمُواطنَةُ دوفارجُ
وَرَجُلٌ آخَرُ .»

«أيُّ رَجُلٍ؟»

«غداً تَعْلَمُ . لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَجَابِكَ .»

واقْبَدَ شارلُ إلى السَّجْنِ مرةً أخرى ، وَلَكِنْ هَذِهِ المَرَّةَ إلى
سَجْنِ كَنَسِيرَجري .



أخيراً ، مَثَلَ شارلُ أمامَ مَحْكَمَةِ الشَّعْبِ . وَقَدْ شَهِدَ فِي
صَالِحِهِ كُلُّ مِنَ الدُّكْتُورِ مَانِتِ وَالسَّيِّدِ لوري وَوَكِيلِ أَعْمَالِهِ
جَابِيل . فَحَكَمَتِ المَحْكَمَةُ بِبِرَائَتِهِ وَأُطِيقَ سَرَاحُهُ ، وَحَمَلَتْهُ
الْجَمَاهِيرُ الْمُتَحَمِّسَةُ إِلَى حَيْثُ يُقِيمُ .

أَحْسَنَ الدُّكْتُورُ مَانِتِ بِسَعَادَةٍ غَامِرَةٍ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : «لَقَدْ
تَمَكَّنْتُ مِنْ إِنْقَاذِهِ .»

غَيْرَ أَنَّ سَعَادَتَهُمْ لَمْ تَطُلْ . فَيَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، سَمِعَ قَرْعُ عَنيفٍ
عَلَى البابِ ، وَدَخَلَ العُرْفَةُ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ جُفَاءَ يَلْبَسُونَ طَاقِيَاتٍ
حُمْرًا ، وَيَحْمِلُونَ مُسَدَّسَاتٍ وَسُيُوفًا .



كَانَ جَرِي كَرْتَشِر . خَادِمُ السَّيِّدِ لُورِي . فِي مُهِمَّةٍ أُرْسِلَهُ بِهَا
 سَيِّدُهُ ، أَثَاءَ وَقْعِ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ . فَجَآءَهُ ، رَأَى فِي الطَّرِيقِ
 وَحْهًا يَعْرِفُهُ . نَادَاهُ وَقَالَ : «أَنْتَ أَبُهَا الرَّجُلُ ! أَنَا أَعْرِفُكَ ! أَنْتَ
 الشَّاهِدُ الْكَاذِبُ فِي مَحْكَمَةِ أَوْلَدِ بِيَلِي - مَا كَانَ اسْمُكَ؟»
 وَسَمِعَ صَوْتُ آخَرٍ يَقُولُ : «بَارَسَاد .» كَانَ الْمُتَكَلِّمُ سَيِّدِي
 كَارْتُن . ثُمَّ تَابَعَ قَوْلَهُ :



«لَقَدْ رَأَيْتُكَ يَا سَيِّدُ بَارَسَاد تَخْرُجُ مِنْ سِجْنٍ كُنْسِيرِجَرِي مُنْذُ
 سَاعَةٍ أَوْ نَحْوِهَا . إِنَّ لَكَ وَجْهًا مُمَيَّزًا . تَبِعْتُكَ إِلَى حَانُوتِ
 دُوفَارْجِ ، وَفَهِمْتُ ، مِمَّا تَنَاهَى إِلَيَّ مِنْ حَدِيثٍ ، طَبِيعَةَ عَمَلِكَ .
 أَتَذُنُّ لِي بِدِقَاتِكَ مِنْ وَقْتِكَ نَذْهَبُ فِيهَا إِلَى مَكْتَبِ السَّيِّدِ لُورِي فِي
 الْمَصْرِفِ؟»

شَحَبَ وَجْهَ الْجَاسُوسِ . وَقَالَ ، وَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يُخْفِيَ
 خَوْفَهُ : «أَتَهْدِدُنِي؟»

كَانَ بَارَسَادُ سَجَانًا فِي السَّجْنِ الَّذِي احْتَجَزَ فِيهِ شَارْل .
 وَخَطَرَتْ لِكَارْتُنْ خُطَّةٌ يَسْتَفِيدُ فِيهَا مِنْهُ . فَقَدْ كَانَ هُوَ وَجَرِي
 يَعْرِفَانِ عَنْ مَاضِي بَارَسَادِ أَشْيَاءَ تَدِينُهُ أَمَامَ الْمَحْكَمَةِ . فَلَمْ يَكُنْ
 أَمَامَ الْجَاسُوسِ إِلَّا الْمُؤَافَقَةَ عَلَى مَا طُلِبَ مِنْهُ .

وَكَانَتْ خُطْوَةُ كَارْتُنِ التَّالِيَةِ أَنَّهُ أَعْلَمَ السَّيِّدَ لُورِي بِسَبِّ الْفَاءِ
 الْقَبْضِ مُجَدِّدًا عَلَى شَارْل . وَسَأَلَهُ أَنْ يَعْتَنِي بِأَمْرِ لُوسِي . غَيْرَ
 أَنَّهُ لَمْ يُحَاوِلْ هُوَ نَفْسَهُ أَنْ يَرَاهَا .

بَلْ إِنَّهُ رَاحَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ يَقْطَعُ شَوَارِعَ بَارِيسَ نَحْنًا عَنْ بَائِعِ
 أَدْوِيَةٍ . أَخِيرًا وَجَدَ وَاحِدًا ، فَاشْتَرَى مِنْهُ مُخَدَّرًا ثَقِيلًا .

قَالَ فِي نَفْسِهِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْقَمَرِ : «مَا عَادَ أَمَامِي شَيْءٌ
 أَعْمَلُهُ اللَّيْلَةَ ، فَابِلِي غَدٍ .»

شاهدنا ما حدث . فَأَرْسَلَهُ الْأَخَوَانِ أَفْرِيْمُونْدَ إِلَى الْبَاسْتِيلِ لِيُضَمَّ سَكُونَتُهُ . وَلَكَمَا كَانَ شَارْلُ هُوَ الْفَرْدُ الْوَحِيدُ الَّذِي لَا يَزَالُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ مِنْ هَذِهِ الْأُسْرَةِ ، فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَ ثَمَنَ جَرِيمَةِ أُسْرَتِهِ مِنْ حَيَاتِهِ . رُغِمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ تِلْكَ الْجَرِيمَةِ ، وَأَنَّهُ حِينَ حَدَّثَتْ كَانَ لَا يَزَالُ طِفْلًا .

أَحْيَا ، أَذْرَكَ شَارْلُ لِمَ أَصَابَتِ الدُّكْتُورَ مَائْتِ حَالَةً مِنْ لِكْتِنَابِ الشَّدِيدِ عِنْدَ زَوَاجِ ابْنَتِهِ . فَإِنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ كَانَ أَخْبَرَهُ بِانْتِمَائِهِ إِلَى أُسْرَةِ أَفْرِيْمُونْدَ . كَذَلِكَ فَهِمَ سَبَبَ الْكَرَاهِيَةِ الَّتِي تَكُونُ لَهُ السَّيِّدَةُ دُوفَارْجَ ، فَالْفَتَاةُ وَالصَّبِيُّ كَانَا أَخَوَيْهَا .

قَالَ السَّيِّدُ لُورِي لِسِدْنِي : « لَا أَمَلٌ . سَيَقْتُلُونَهُ . »

أَجَابَ سِدْنِي : « نَعَمْ سَيَقْتُلُونَهُ . لَا أَمَلٌ بِالْمَعْنَى الصَّحِيحِ . »
ثُمَّ خَرَجَ . وَقَدْ نَدَا عَلَى وَجْهِهِ وَكَأَنَّهُ عَزَمَ عَلَى أَمْرِ .



فِي الصَّبَاحِ ، تَوَجَّهَ كَارْتُونُ إِلَى الْمَحْكَمَةِ وَهَذَاكَ سَمِعَ اسْمَ الشَّخْصِ الثَّلَاثِ الَّذِي وَحَهُ الْإِتِّهَامُ إِلَى شَارْلَ . وَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ الدُّكْتُورِ مَائْتِ . الدُّكْتُورُ مَائْتِ نَفْسُهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ الْأَمْرِ . فَإِنَّ دُوفَارْجَ قَدَّمَ الْإِتِّهَامَ بِاسْمِهِ مُبَرَّرًا الْأُورَاقَ الَّتِي وَجَدَهَا فِي رِنَزَانَةِ الطَّبِيبِ فِي سِجْنِ الْبَاسْتِيلِ . وَالْأُورَاقُ تَكْشِفُ هُوبَةَ الَّذِينَ رَمَوْهُ فِي السَّجْنِ . وَلَمْ يَكُنِ الدُّكْتُورُ مَائْتِ قَدِيرٌ عَلَى إِنْكَارِ الْأُورَاقِ ، فَإِنَّهَا بِخَطِّ يَدِهِ .

كَانَ الْأَخَوَانِ أَفْرِيْمُونْدَ ، وَالِدُ شَارْلَ وَعَمُّهُ ، مَسْئُولَيْنِ عَنْ رَمِي الدُّكْتُورِ مَائْتِ فِي السَّجْنِ . فَقَدْ تَسَبَّبَا فِي مَقْتَلِ فَتَاةٍ فَلَاحَةِ بَرِيئَةٍ وَمَقْتَلِ أَخِيهَا الَّذِي حَاوَلَ الدَّفَاعَ عَنْهَا . وَاتَّفَقَ أَنَّ الطَّبِيبَ



عَلِمَ كَارْتْنُ ، حِينَ عَادَ إِلَى مَكْتَبِ السَّيِّدِ لُورِي ، أَنَّهُمْ لَا
يَحْدُونَ الدُّكْتُورَ مَائِتَ . ثُمَّ ، فَحَاةً ، سَمِعُوا وَقَعَ خُطَوَاتِهِ وَهُوَ
يَنْزِلُ مِنْ غُرْفَةِ عُلُويَّةٍ . وَنَدَا مِنْ هَيْئَتِهِ أَنَّ الْمِسْكِينَ فَقَدْ ذَاكَرَتْهُ
مُجَدِّدًا وَعَادَتْ إِلَيْهِ هَوَاجِسُهُ :

« لَا أَجِدُهُ ، أُرِيدُهَا الْآنَ ! أَيْنَ هِيَ ؟ » وَكَانَ يَبْحَثُ عَنْ
عُدَّةِ الْإِسْكَافِيِّ الَّتِي كَانَتْ الشَّيْءَ الْوَحِيدَ الَّذِي أُتِعِدَّ عَنْهُ الْجُنُونُ
فِي السَّجْنِ الرَّهيبِ .

قَالَ كَارْتْنُ مُخَاطِبًا السَّيِّدَ لُورِي : « لَا يَقْدِرُ عَلَى مُسَاعَدَتِنَا
الْآنَ . الْأَفْضَلُ أَخْذُهُ إِلَى لُوسِي . اسْمَعْنِي وَافْعَلْ مَا قَوْلُهُ لَكَ .
سَتَعْلَمُ ، فِيمَا بَعْدُ ، أَنَّ لِمَا أَطْبَعَهُ مِنْكَ تَفْسِيرًا مُقْبِعًا . »



فَتَشَأَنَّ عَنْ تَضَرُّعِ الدُّكْتُورِ مَائِتَ لِلخُرُوجِ مَعَ ابْنَتِهِ مِنْ
بَارِيسَ ، فَوَجَدَاهُ . وَكَانَ لَدَى سِدْنِي تَضَرُّعٌ هُوَ الْآخِرُ ، فَأَعْطَاهُ
لِلسَّيِّدِ لُورِي طَالِبًا مِنْهُ أَنْ يَحْتَفِظَ لَهُ بِهِ .

وَقَالَ : « سَأَزُورُ شَارْلَ فِي سِجْنِهِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، وَلَا أُرِيدُ أَنْ
أُخَاطِرَ بِضَبَاعِ التَّضَرُّعِ مِنِّي »

« أَنْتَظُنُّ أَنَّ لُوسِي وَالطِّفْلَةَ فِي خَطَرٍ أَيْضًا ؟ »

« نَعَمْ ، مِنَ السَّيِّدَةِ دُوفَارْجَ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ مُسْتَعِدًّا لِلسَّفَرِ
فِي الثَّانِيَةِ مِنْ صَبَاحِ الْغَدِ . أَقْبِعْ لُوسِي أَنْ تَرْتَحِلَ هِيَ وَالطِّفْلَةُ
وَالدُّكْتُورُ مَائِتَ مَعَكَ . أَخْبِرْهَا أَنَّكَ تَقْدُرُ رَغْبَةً شَارْلَ . انْتَظِرْنِي ،
وَأَنْطَلِقْ لِحُطَّةٍ وَصُولِي »



الرَّسَالَةُ: «رُبَّمَا تَذْكُرِينَ كَلِمَاتٍ كُنْتُ قُلْتُهَا لَكَ. حِينَ تَرَيْنَ هَذِهِ الرَّسَالَةَ سَتَفْهَمِينَ مَعْنَى تِلْكَ الْكَلِمَاتِ. أَحْمَدُ رُبِّي أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِأَبْرَهَانَ لَكَ أَيُّ كُنْتُ صَادِقًا فِي وَعْدِي لَكَ.»

وَبَيْنَمَا كَانَ شَارْلُ مُنْهَمِكًا فِي الْكِتَابَةِ، اقْتَرَبَ مِنْهُ كَارْتُونُ وَسَدَّ وَجْهَهُ بِمَنْدِيلٍ مُشْبَعٍ بِالْمُخَدَّرِ الَّذِي كَانَ قَدْ اشْتَرَاهُ. سَقَطَ شَارْلُ عَلَى الْأَرْضِ فَاقِدًا الْوَعْيَ. فَأَخْرَجَهُ بَارَسَادُ، الَّذِي كَانَ سَمَحَ لَكَارْتُونُ بِالتَّسَلُّلِ إِلَى السَّجَرِ، وَبَقِيَ كَارْتُونُ فِي الزَّرْنَانَةِ.



كَانَ شَارْلُ دَارْتِي يُتَمِزِي لَيْلَتُهُ الْأَحِيرَةُ فِي السَّجَرِ يَكْتُبُ إِلَى زَوْجَتِهِ رِسَالَةً وَدَاعٍ. فِي الْيَوْمِ التَّالِي كَانَ سَيَسْقُطُ اثْنَانِ وَحَمْسُونَ رَأْسًا. فِي جُمْلَتِهَا رَأْسُهُ هُوَ رَاحَ يُنْصِتُ إِلَى السَّاعَةِ تَعْدُ السَّاعَاتِ. فَجَاءَ، انْفَتَحَ بَابُ زَرْزَانَتِهِ. وَبَرَزَ مِنْهُ سِدْنِي كَارْتُونُ يَتَسِيمُ، وَقَدْ وَضَعَ إصْبَعَهُ عَلَى شَفَتَيْهِ.

«أَتَيْتُكَ بِرِسَالَةٍ مِنْ زَوْجَتِكَ. افْعَلْ مَا أَقُولُهُ لَكَ تَمَامًا. لَيْسَ لَدَيَّ وَقْتُ أَضِيعُهُ.»

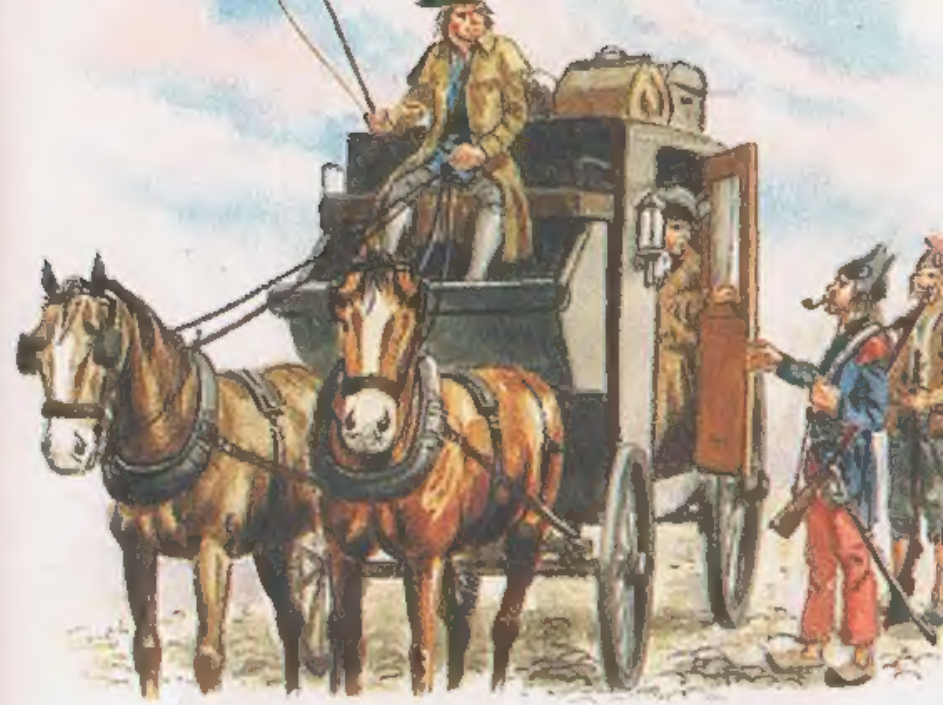
ثُمَّ تَبَادَلَ مَعَهُ الثِّيَابَ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُقَدِّدَهُ فِي تَسْرِيحَةِ شَعْرِهِ. ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى لُوسِي رِسَالَةً مِنْ إِمْلَانِهِ هُوَ. تَقُولُ

مَرَّتْ عَرَبَاتُ الْمَوْتِ تُجَلِّجُلُ فِي شَوَارِعِ بَارِيسَ جَلْجَلَةً
جَوْفَاءَ أَلِيمَةٍ.

«أَيُّهُمْ شَارْلُ أفريموند؟»

«ذَاكَ الَّذِي يُمَسِّكُ يَدَ الصَّبِيَّةِ.»

«لَيْسَقُطْ آلُ أفريموند! إِلَى الْمِقْصَلَةِ أَيُّهَا النَّبِيلُ الشَّرِيرُ!»



تَفَحَّصَ الْحَرَسُ عَلَى أَبْوَابِ بَارِيسِ الْعَرَبَةَ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا
السَّيِّدُ لُورِي وَلُوسِي وَأُسْرَتُهَا، وَالَّتِي كَانَتْ فِيهَا أَيْضًا رَجُلٌ نَائِمٌ
يَحْمِلُ أَوْرَاقَ سِدْنِي كَارْتِن - وَكَانَ فِي الْحَقِيقَةِ شَارْلُ. وَدَاحَ
الْحَرَسُ يَضْحَكُونَ مِنْ ذَلِكَ النَّائِمِ الَّذِي لَمْ يَعْرِفُوا رَجُلًا أَثْقَلَ
نَوْمًا مِنْهُ.

«أَنْذَهَبُ الْآنَ؟»

«إِذْهَبُوا. رِحْلَةٌ مُوقَفَةٌ!»

وَفِي السَّجْنِ اقْتَرَبَتْ صَبِيَّةٌ مَحْكُومٌ عَلَيْهَا بِالْمَوْتِ مِنْ شَارْلُ ،
كَمَا كَانَتْ تَنْظُرُهُ ، وَرَجَّتُهُ أَنْ يُمَسِّكَ بِيَدِهَا حِينَ يَذْهَبَانِ إِلَى
الْمِقْصَلَةِ. فَمَدَّ سِدْنِي يَدَهُ وَأَمْسَكَ يَدَهَا.

دَقَّتِ السَّاعَةُ ثَلَاثًا. تِلْكَ هِيَ الْمِقْصَلَةُ. تَجَمَّعَ أَمَامَهَا صُفُوفٌ
مِنَ النِّسْوَةِ يَحْكُنُ الصُّوفَ. أَفْرَغَتِ الْعَرَبَةُ الْأُولَى. وَبَدَأَ تَسَاقُطُ
الرُّؤُوسِ، وَشَرَعَتِ النِّسْوَةُ يَعْدُدُّنَهَا دُونَ أَنْ يَوْقِفْنَ حَبْكَ الصُّوفِ.
قَالَ سِدْنِي: «أَنْظُرِي إِلَى وَجْهِ يَا صَغِيرَتِي. لَا تَنْظُرِي إِلَى
شَيْءٍ آخَرَ.»

«لَنْ أَخَافَ إِذَا كَانَتْ يَدُكَ فِي يَدِي. لَكِنْ هَلْ سَبَّعَجُلُونَ؟»
«سَبَّعَجُلُونَ. لَا تَخَافِي.»

سَبَقَتْهُ إِلَى الْمِقْصَلَةِ.. ثُمَّ لَمَعَ النُّصْلُ. وَهَتَفَتِ النِّسْوَةُ
الْحَابِكَاتُ: «إِثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ.»



مَلَأَتْ عَيْنِي سِدْنِي، وَهُوَ يَتَقَدَّمُ إِلَى الْمِقْصَلَةِ، خِيَالَاتٌ،
فَرَأَى لُوسِي وَأَفْرَادَ أُسْرَتِهَا يَنْطَلِقُونَ إِلَى إِنْكِلَاةِ آمِينَ. فَرَدَّدَ فِي
أَعْمَاقِهِ: «مَا أَفْعَلُهُ الْآنَ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ مَا فَعَلْتُ فِي حَيَاتِي وَمَا
أَشْعُرُ بِهِ مِنْ رَاحَةٍ وَسَلَامٍ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ مَا شَعَرْتُ بِهِ فِي حَيَاتِي.»
كَانَتْ هُنَاكَ هَمَّهَاتٌ تَبْدُو بَعِيدَةً، وَوُجُوهُ تَبْدُو كَأَنَّهَا فِي
الْحُلُمِ.. ثُمَّ انْطَفَأَ بَرِيقُ كُلِّ شَيْءٍ. ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ!
قَبْلَ، فِيمَا بَعْدُ، إِنَّ أَحَدًا لَمْ يَرَ عَلَى الْمِقْصَلَةِ وَجْهًا
كَوَجْهِهِ سَلَامًا وَرِضًى.



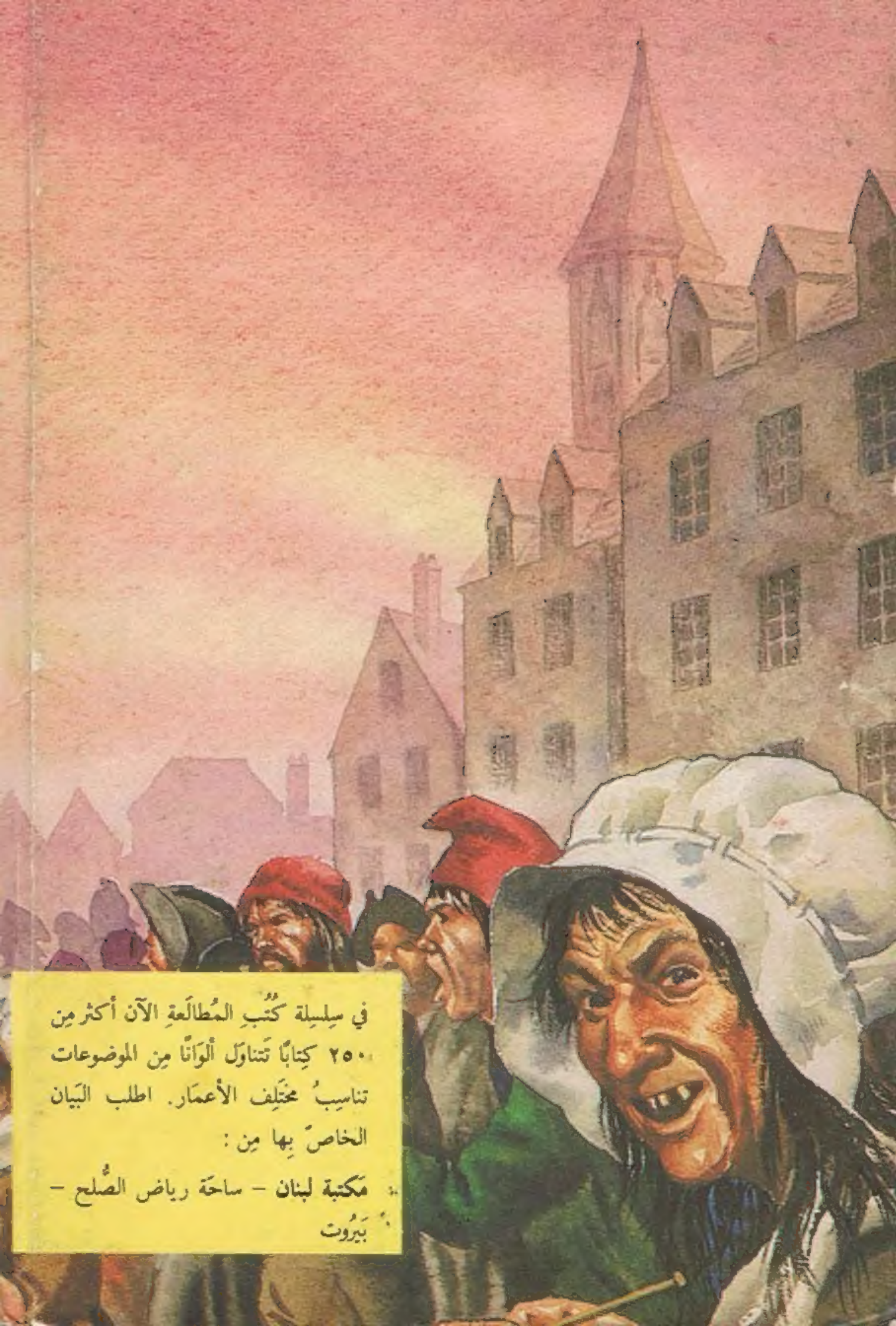
تسمى مكتبة لبنان من خلال هذه السلسلة إلى تعريف القارئ العربي بروائع الأدب العالمي، وإعداده للدخول، فيما بعد، في عالم القصص الخالدة من باب الواسع. إننا نعتقد أن من حق أبنائنا أن يكونوا فكرة صحيحة شاملة عن إنتاج القصص الدائغة الصبت في مختلف أضعاف الأرض.

على أننا نيق أن هذه القصص تصلح، بالشكل الذي نقدمها فيه، للكيار أيضا. لأننا حرصنا على ألا نتقص من جوهر الفكرة التي يقوم عليها العمل ومن بناء الشخصيات كما أرادها المؤلفون.

وحرصنا على المحافظة على عناوين الكتب الأصلية وكذلك على أسماء العلم والأماكن، كما وردت في الأصل، رغبة في إعطاء صورة حقيقية عن الجو العام للقصص، من حيث المكان والأوضاع الاجتماعية والأحداث التاريخية، وخدمة للهدف الذي نسمى إليه وهو تمهيد الطريق للتعرف إلى الأدب العالمي. على

أننا نجيبنا الخوض في تفاصيل الأسماء التي لا تتعلق مباشرة بصلب الموضوع ولا تؤثر على سير الأحداث. وذلك لكي لا نربك القارئ العربي بأسماء ثانوية الأهمية. غربية اللفظ قليلة التواتر. وتتناثر هذه القصص كلها بأنها شديدة التشويق، وتقوم في غالبيتها على المغامرات المثيرة. وأكثر هذه القصص المختارة كُتبت أصلاً لترضي جمهور الشباب، وهي من هذه الناحية ترضي مشاعرهم ومبادئهم وحبهم للإنطلاق واكتشاف المجهول. إن هذه القصص جميعها، وإن تكن في غالبيتها تقوم على حب المغامرة، تتناول أصدق المشاعر الإنسانية، وتصور كيفاح الإنسان لتحقيق مثله العليا دون أن يعبأ بالتضحيات.

ورودت كتب السلسلة جميعها بخدمات تعرف بالمؤلف كما رُودت برسوم ملونة رائعة تضيء جواً من السحر على أحداث القصص، وتصور الخلفيات الاجتماعية والتاريخية أصدق تصوير.



في سلسلة كُتِبِ المُطالعة الآن أكثر من
٢٥٠ كتابًا تتناول ألوانًا من الموضوعات
تناسب مختلف الأعمار. اطلب البيان
الخاص بها من :

مكتبة لبنان - ساحة رياض الصلح -
بيروت